مسلسل ينوس بين ذاكرتي الماضي والحاضر

«قرن الماعز»: دراما اجتماعية فلاحية تكشف استمرار الظلم عبر الاجيال

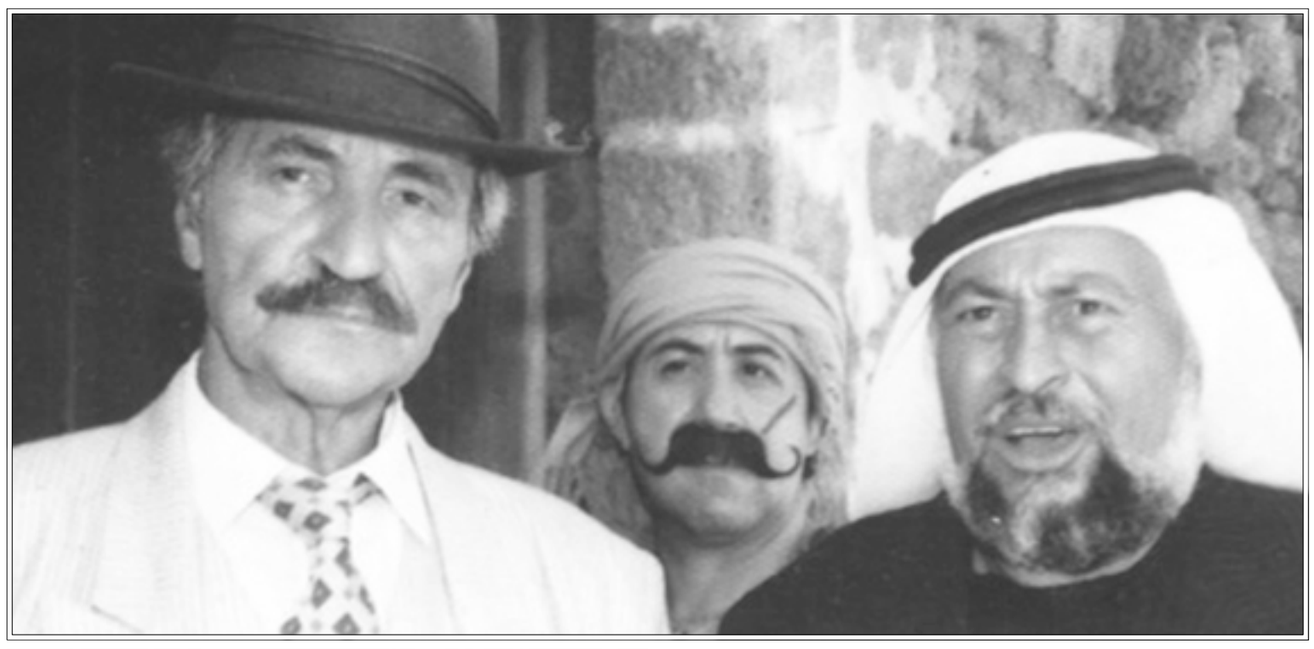

ثلاثي الإقطاع «عبد الرحمن أبو القاسم ـ محمد خير الجراح ـ طلحت حمدي» في لقطة من المسلسل

المخرج مع سمر سامي (القدس العربي)

دمشق ـ «القدس العربي»

ـ من أنور بدر:

حين التقينا الكاتب والمخرج المسرحي غسان الجباعي قبل عامين وكان يُصور له مسلسل «عمر الخيّام» سألناه عن جديده، فحدثنا باقتضاب عن دراما فلاحية تحمل اسم «قرن الماعز».

والآن بعد طول انتظار، شاهدنا على القناة الأولى من التلفزيون السوري هذا المسلسل بتوقيع المخرج طلال محمود، الذي تابعناه في مجموعة أعمال درامية «غير مخصص للبيع ـ نرجس ـ سر الكنز» وإن كان هذا الأخير يميل إلى الكوميديا الساخرة، فإن قرن الماعز يميل إلى التراجيديا الاجتماعية. وهو يزاوج ما بين التاريخي والمعاصر من خلال اقتحام الذاكرة الجمعية لتاريخ منطقة وحقبة كاملة ترويها جمال «سمر سامي»، وهي بدور عجوز تتسول في إحدى الحدائق العامة، بينما نعيش الواقع المعاصر من خلال طالبين: غادة «نسرين طافش» ومازن «قيس الشيخ نجيب»، اللذان يقومان ببحث واستقصاء لصالح دراستهما في جامعة دمشق ـ قسم علم الاجتماع.

العمل في بُعده التاريخي يتكئ على قصة قصيرة للكاتب البلغاري ألكسندر خايتوف تحمل العنوان ذاته «قرن الماعز»، لكن الجباعي نجح في تبيئة العمل، ولم يكتف برسم شخصية متعب الساهي «تيسير إدريس» كثائر ضد ظلم الإقطاع وعسفه، بل يتهم بقتل ضابط من قوات الاحتلال الفرنسي، ليعاود الهرب من قريته ثانية حيث يتخفى باسم «الوبش» وهنالك يتعرّف إلى الثوار في غوطة دمشق، ويلتحق بالمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي وعملائه. ولكن هذه القصة لا تأتينا في بعدها السردي المباشر، بل في بعد استعادي من خلال ذاكرة جمال التي تسرد قصة والدها على طريقة الفلاش باك، منذ عودتهم إلى القرية وهي صغيرة لم تتجاوز سنواتها الست، وحتى هروبهم ثانية من القرية صبية مدركة وواعية لما يحدث.

وفي هذا السياق تلتئم عناصر الدراما الفلاحية، من الإقطاعي أو الآغا «طلحت حمدي» إلى وكيله «عبد الرحمن أبو القاسم» فالوقاف «محمد خير الجراح» الذي يُعتبر ذراعه الضاربة في إرهاب الفلاحين والبطش بهم، وهو شخصية متطرفة في سلوكها السلبي شكلاً ومضموناً، ومتطرفة في حدود الأذى الذي تلحقه بالآخرين.

وتتذكر جمال أو أن الكاميرا تعيدنا مع ذاكرتها إلى البيت المهجور في القرية، والذي تحوّل إلى خرابة، إذ لم يعد يجرؤ أحد من الفلاحين على الاقتراب منه إلا فتوح «نضال سيجري» وياسمين «ريم علي» وهما المجنونان بسبب ممارسات الآغا، لكنهما أيضاً يُشكلان ضمير القرية وصوتها الحيّ الذي يتجاوز حدود الخوف. فياسمين التي عانت كثيراً من الاضطهاد وبشكل خاص بعد مقتل زوجها وابنتها على يد الآغا وأعوانه، تنتقل من شخصية الفلاحة الفقيرة إلى شخصية المجنونة التي تقاوم الظلم وترفض الاضطهاد بالرأي والسلوك.

كما نتعرف في هذه الدراما الفلاحية على نماذج نسائية أخرى، كأم وردة «عزة البحرة» زوجة الوقاف التي يعاملها بقسوة، لكنها تظل قوية وتعيش بتحد مع محيطها، كما نتعرف على نايفة «هناء منصّور» و«فيلدا سمور» إلا أن الشخصية الأبرز كانت «مريم علي» التي انتقلت مع زوجها من الريف إلى المدينة لتفاجأ بالواقع الأليم، فتعود إلى القرية ثانية بعد أن تترك ابنتها خادمة في منازل المدينة، وفي القرية تتعرض ثانية لأحداث قاسية في مواجهة الفقر والظلم.

وقد وفق المخرج في تصوير هذا الجزء من المسلسل في قرية «خبب» من ريف محافظة درعا، حيث ما زالت بيوت القرية الطينية تحمل ملامح القرية الفلاحية في أربعينيات القرن الماضي، خاصة وأنه اشتغل على جمالية المشهد البصري للصورة التي انتقلت في حركة تضاد بين هذا الريف المغرق في تخلفه وبساطته، وبين المدينة المغرقة في ضوضائها وزحمتها، وهو ذات الانتقال بين التاريخ والمعاصرة، بين ذاكرة جمال وبين تسولها في الحديقة العامة.

لكن في هذا الجزء الآخر نحن أمام خطوط درامية معاصرة تتحرك بكل إشكالاتها الإنسانية والاجتماعية وبكل تناقضاتها أيضاً، بدءاً من مازن وغادة، هو الفقير الذي صمم أن يهجر القرية لدراسة علم الاجتماع في جامعة دمشق، فينخرط في سوق العمل ويتقلب بين أكثر من مهنة كي يؤمن معيشته، بينما غادة البنت البرجوازية المدللة والمستهترة، فهي لا تبحث خارج حدود سعادتها الآنية مهما تعارضت مع القيم والأخلاق، وبالتالي لم يكن ممكناً أن يجمع بينهما أكثر من علاقة البحث الاجتماعي باعتباره واجباً دراسياً، لكن كلاً منهما ينظر إليه بمنظار مختلف.

فإن كانت غادة لا ترى في حديث جمال أكثر من واجب دراسي ممل، فإن مازن يذهب مع صورة جمال إلى تذكر صورة والدته في القرية، ويذهب مع حدثها أكثر من الواجب الدراسي، إذ يتذكر في حديثها عن معاناة متعب الساهي معاناته هو مع الفقر والعمل وتأمين لقمة العيش.

ولم يشأ الكاتب أن يأخذنا في حدود هذه البانوراما المشهدية بين الماضي والحاضر فقط، لكنه يصر مع موت جمال قبل أن تنتهي الحكاية، أن يُشير إلى موت الذاكرة الجماعية في مجتمعنا، وإلى تشتت الصائر وراء المصلحة الفردية، وهكذا تتابع غادة مشوار البحث عن متعتها الآنية، بينما يبقى مصير مازن الدراسي معلقاً، لأن الصراع ضد الظلم والفقر الذي بدأ زمن الاستعمار الفرنسي وما قبله، لم ينته مع الدولة الحديثة وشعارات العدالة والاشتراكية، فالظلم والتباين الطائفي مستمر في كل زمان ومكان مهما تباينت أشكاله وطرق ممارسته.

وأعتقد أن هذا المزج بين مستويات الزمن والحدث الدرامي أنقذ هذا المسلسل من رتابة الدراما الفلاحية، فيما لو اقتصر العمل على بعده التاريخي، كما نجح المؤلف في ضغط المسلسل إلى (21) حلقة بدلاً من الحلقات الثلاثين المعتادة، ولو جاء هذا الضغط بقرار من الجهة المنتجة «التلفزيون السوري» إلا أنه أنقذ العمل من رتابة محتملة في التلقي.

بطاقة العمل:

تأليف: غسان جباعي. إخراج: طلال محمود

الممثلون: سمر سامي ـ طلحت حمدي ـ تيسر إدريس ـ مريم علي ـ قصي خولي ـ هناء نصور ـ عبد الرحمن أبو القاسم ـ ريم علي ر سوسن أرشيد ـ عزة البحرة ـ فدوى سليمان ـ نضال سيجري ـ قمر خلف ـ الفرزدق ديوب ـ مصطفى الخاني ـ أسعد جابر وندين سلامة وعبد الحكيم قطيفان وحسين عباس.

الفنيون: مدير الإنتاج صلاح تمساح، التصوير مأمون محملجي، والديكور لبيب رسلان، الصوت محمود بيطار، مدير الإضاءة: عبد الكريم سعيد، المونتاج: أيمن شحرور، الماكياج: ميرلا كوقجليان، الموسيقا رضوان نصري، المخرجة المنفذة صفاء أحمد، إنتاج الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون ومديرية الإنتاج التلفزيوني.

تقول أنها نجحت مؤخرا في إسقاط الحاجز الوهمي بينها وبين محمد فاضل

فردوس عبد الحميد: لماذا يعلقون نجاحاتي دائما على شماعة زوجي؟

فردوس عبد الحميد في احد مسلسلاتها (القدس العربي)

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ عمر صادق:

بعد الانتهاء من تصوير آخر مسلسلاتها مصر الجديدة وعرضه على الشاشة الصغيرة منذ أيام قطعت الفنانة فردوس عبد الحميد عهدا على نفسها بألا تصور عملا إلا إذا كانت راضية عنه من الألف إلى الياء وله قيمة ورسالة لتكمل مشوارها مع الدراما التليفزيونية بالحفاظ على رصيدها السابق من التألق والنجاح.

تقول فردوس: لا أبحث عن شهرة فقد تخطيت هذا الأمر منذ سنوات عديدة.. ولا أبحث عن فلوس.. والمظاهر آخر شيء بل وفي مؤخرة اهتماماتي.

حديث البعض من ارتباطها بالعديد من الأعمال التي يكون زوجها محمد فاضل طرفا فيها لم يعد يثير قلقها.. خاصة أن كل أعمالها مع فاضل لاقت نجاحا منقطع النظير.. ونجحت أيضا في التعامل مع مخرجين آخرين.

■ سألتها عن الفارق بين التعامل مع فاضل والمخرجين الآخرين.. وأيهما نجح في اكتشاف مناطق جديدة عندك؟

■ كل عمل قدمته وصاحبته نجاحات أنا سعيدة به وأضعه في المقدمة دائما.. كل عمل قدمته وكانت له رؤية ووجهة نظر وتعجب الناس هو نجاح لي وللمخرجين الذين عملت معهم بصرف النظر عن محمد فاضل او آخرين.

■ في ندوة أقيمت مؤخرا بالجامعة قلت أن الدراما الحالية تخلت عن رسالتها.. فما المقصود بهذه العبارة خاصة أن هناك أعمالا حازت على إعجاب النقاد مؤخرا؟

■ كنت أقصد نظام المنتج المنفذ الذي يحصل من التلفزيون على أموال ضخمة ليقوم بعملية إنتاج مسلسل.. ومن وجهة نظري أن هذا النظام أفسد الدراما لأنه فتح الباب أمام المنتج ليجامل أصحابه في كل المجالات على حساب الجمهور لهذا طالبت بإلغاء هذا النظام.

■ نجاح مسلسلات مثل «أخو البنات» و«ليلة القبض على فاطمة» بصفة خاصة ما أسبابه؟

■ أنهما خاضعان للإنتاج الخاص.. لم نكن وقتها نظام المنتج المنفذ الذي يبدد أموال التليفزيون في أعمال دون المستوى.

■ معروف ان هناك أعمالا تليفزيونية مصرية مرسلة لبعض الدول العربية تتم إعادتها للتليفزيون فما السبب؟

■ السبب واضح ولا يحتاج إلى تفكير وبحث ومعاناة.. هذه الأعمال تعود مرة أخرى لمصر بسبب ضعف مستواها الفني.

■ ما حقيقة أن المسلسلات تباع لأن أسماء النجوم الكبار عليها؟

■ كان زمان.. المناخ الآن تغير اليوم مثلا يهتمون برسالة العمل وليس النجوم بمعنى آخر موضوع المسلسل هو البطل وليس النجوم.

■ لك بعض الملاحظات على المؤلفين حاليا وتقولين أنهم لم يعودوا مثل زمان في التفرغ للإبداع؟

■ المؤلفون اليوم يهتمون بالمادة على حساب الجودة منذ سنوات قليلة كان المؤلف يجتهد ويفكر ويكرس وقته وجهده ليقدم أفضل ما عنده.. الآية انقلبت الآن فقد أصبح هذا المؤلف مسؤولا عن كتابة 4 أو 5 مسلسلات سنويا وأتسائل.. هل مسلسلات في العام مثل 4 أو 5 بالتأكيد المنطق يختلف فالمؤلف الذي يقدم مسلسلا واحدا لابد أن يعطيه أكبر قدر من الاهتمام وبالتالي يخرج العمل في قمة اللياقة والجودة أما 4 و5 مسلسلات فلابد أن يشوب عقل المؤلف الكثير من التشتت.

■ بمناسبة الدراما هناك اتجاه بين الجمهور بأن الدراما التاريخية لا تلقى الحفاوة مثل الدراما الاجتماعية مثلا فما السبب؟

■ ليس كل الدراما الاجتماعية جيدة وليس معظم الدراما التاريخية على مستوى فني راق.. وأي مسلسل له جذور وبناء درامي سليم لابد أن يكون له هدف ورسالة وفي الوقت نفسه يجد تشجيعا من الجمهور بدليل أن أعمالا تاريخية مثل ناصر 56 وأيام السادات وفارس الرومانسية عن يوسف السباعي أعمال نجحت بشهادة الجمهور والنقاد وسر نجاحها أن الناس تريد أن تتعرف على المزيد من أسرار وتاريخ هذه الحقب.. ولا انكر أن هناك أعمالا تاريخية اخرى ضعيفة المستوى وينصرف عنها الجمهور.

■ بعض النقاد ألحوا في فترات سابقة إلى أنك تقلدين سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة؟

■ لا.. التقليد صعب.. فاتن أستاذة في الأداء ولها لونها وطعمها.. واعمالها التي لا تقارن.. أنا لا أقلدها لأنني حريصة على أن أكون فردوس ولي أسلوبي وأدائي ولوني الخاص.

■ حديث الناس العاديين كان يثير قلقك عن ارتباط أعمالك بأعمال المخرج محمد فاضل فهل ما زلت تعانين؟

■ كانت في مرحلة ما في بداية تعاوني مع فاضل.. ولكن زادت كثيرا في فترة ما وكنت أشعر بالخوف والقلق من كثرة ما كنت أسمعها فهم يريدون أن يعلقوا نجاحي على شماعة زوجي وهذا غير صحيح.. فاضل له الفضل في نجاحي وتألقي في بعض الأعمال الدرامية ولكن لولا ثقتي في قدراتي وموهبتي ما كنت واصلت المشوار.. الآن سقط هذا الحاجز بشدة ولم يعد له وجود لا في نفسي ولا عند زوجي وكلنا نكمل بعض.

■ إلى أي مدى نجحت الدراما في الآونة الأخيرة في التفاعل مع قضايا المجتمع؟

■ بصراحة معظم الأعمال التلفزيونية لا تضع مشاكل المجتمع في قائمة اهتماماتها وأشعر دائما أن بعض هذه الأعمال تتاجر بمعاناة الناس ولا تقترب من مشاكلهم وكلما أجلس لمشاهدة هذه الأعمال أحس أنها لا تمس قضية ولا مشكلة ولا رسالة ولا مضمونا.. وأتسائل إذن لماذا أنتجت هذه المسلسلات إذا كانت لا تناقش قضية أو تضع يدها على بعض الجراح داخل مصر؟

■ معظم أعمالك الفنية كانت من نصيب أسامة أنور عكاشة تأليفا.. ومحمد فاضل إخراجا.. هل هي صدفة؟

■ ليست صدفة.. أسامة وفاضل صديقان منذ سنوات بعيدة ويسكنان في نفس العمارة وأراؤهما متشابهة وتوجهاتهما السياسية والفنية متقاربة والأهم من وجهة نظري أنهما يستريحان للعمل مع بعضهما وبالتالي تخرج هذه الأعمال في أجمل صورة مثل الراية البيضاء وأنا وبابا في المشمش وقال البحر وعصفور النار وغيرها.

مدينة دبي للاستوديوهات جاهزة للعمل في 2007

دبي ـ «القدس العربي» ـ من جمال المجايدة:

كشفت إدارة مدينة دبي للاستوديوهات امس عن المخطط الرئيسي للمدينة وذلك تمهيدا لانطلاق الإجراءات التنفيذية للمشروع الذي من المنتظر أن يقدم للمنطقة والعالم مركزا جديدا لصناعتي السينما والتلفزيون يعتمد على بنية أساسية رفيعة المستوى تلبي احتياجات المؤسسات الكبرى المتخصصة في هذين المجالين ويساعد على نموها بما يوفره من خدمات ومرافق متكاملة. تصل مساحة المدينة إلى 22 مليون قدم مربع في قلب مشروع دبي لاند العملاق، وتتضمن مجمعات للاستوديوهات ومركزا اجتماعيا ومنطقة تجارية وأخرى سكنية علاوة على مشروع لتأسيس أكاديمية للسينما، حيث تهدف مدينة دبي للاستوديوهات، التي تم الإعلان عنها في شباط (فبراير) 2005، إلى ترسيخ قواعد مجتمع إبداعي متكامل الجوانب يعضد نمو قطاعي السينما والتلفزيون في المنطقة. وتسعى مدينة دبي للاستوديوهات إلى استقطاب المؤسسات الكبرى المتخصصة في كافة المجالات الداخلة في تركيبة صناعة السينما وأيضا التلفزيون ومنها شركات الإنتاج وخدمات ما بعد الإنتاج مثل الدوبلاج والمكساج وشركات الرسوم المتحركة وتصميمات الجرافيك ووكالات التوظيف واستقدام الممثلين، وموردي أدوات التصوير ومنصات الصوت والإضاءة وشركات الإكسسوارات ومصممي ومنفذي الملابس إضافة إلى خدمات التيليسين ومعامل تحميض وطباعة الأفلام. وسوف تتضمن المنطقة الرئيسية بالمدينة 14 ستوديو للإنتاج الصوتي بمساحات تتراوح ما بين 15 ألف و 40 ألف قدم مربع، إضافة إلى مواقع التصوير المفتوحة والمرافق المكملة والتي تصل مساحتها إلى 4.3 مليون قدم مربع، وهي منطقة تتميز بالتصميم الذي يلبي متطلبات شركات الإنتاج العالمية، حيث من المنتظر الانتهاء من المرحلة الأولى في هذه المنطقة خلال الربع الأول من العام 2007، متضمنة ثلاث استوديوهات للإنتاج الصوتي بمساحة إجمالية 65 ألف قدم مربع، مدعومة بالمرافق والخدمات.

وستشكل المكاتب المستقلة والمعروفة باسم «بوتيك أوفيسز» وهي عبارة عن وحدات مكتبية صغيرة مستقلة على شكل فيلات، واحدة من أبرز معالم المجمع حيث تتوائم تلك الوحدات مع العديد من الإغراض حيث يمكن استخدامها لإنشاء استديوهات صغيرة الحجم، بينما من المقرر أن تتضمن المرحلة الأولى من هذه المنشئات إقامة 20 وحدة مستقلة على أن تنتهي أعمال الإنشاءات فيها بحلول شهر كانون الثاني (يناير) 2007. كما ستتضمن مدينة دبي للاستوديوهات مركز «فيليدج سنتر» والذي سيتضمن مجموعة من دور العرض والمطاعم و المقاصف ومنافذ بيع التجزئة ومسرح مجهز بتقنية آي ماكس إلى جانب منطقتين مفتوحتين للاحتفالات بطاقة إجمالية تصل إلى 10 آلاف شخص حول منطقة البحيرات التي ستتوسط المركز، إضافة إلى فندقين وهي مكونات ستجعل من المدينة مركز جذب للفعاليات الاحتفالية بما تتمتع به من مساحة وقدرة استيعابية وخدمية كبيرة. وعلى الصعيد العلمي، ستشمل مدينة دبي للاستوديوهات أكاديمية للفنون السينمائية والتي من المنتظر أن تغطي كافة أفرع العمل السينمائي مثل التمثيل، الإخراج، المونتاج، الهندسة الصوتية، بما يساعد على تنمية المواهب المحلية والإقليمية الساعية إلى الدخول إلى عالم السينما عبر بوابة الدراسة الأكاديمية التي تساهم في رفد الموهبة بالعلم والمعرفة.

أما المنطقة التجارية، فستتميز بالخيارات المناسبة للمكاتب الإدارية ومنافذ البيع، وكذلك المنشئات الفندقية وغيرها من الأنشطة ذات الطابع التجاري، حيث ستتضمن تلك المنطقة فندقا ومركزا للأعمال ومجموعة من الأراضي المخصصة للإيجارات طويلة الأمد، في حين يشمل مخطط المدينة أيضا منطقتين سكنيتين لخدمة العاملين في المدينة حيث تساعد تلك المنشئات على تيسير انتقال العاملين من وإلى مقار عملهم بسرعة وسهولة. يذكر أن مدينة دبي للاستوديوهات تسعى للعلب دور حيوي في النمو السريع الذي يشهده قطاع السينما في العالم خاصة في الشرق الأوسط وأوروبا وشبه القارة الهندية، حيث وصل إنتاج منطقة الشرق الأوسط وحدها إلى 115 فيلم خلال العام 2003 .

فضائيات

التلفزيون السوري ينحاز للنحيلات والشكل أهم من الصوت في «ستار اكاديمي»

انور القاسم*

■ «استسهل واعمل».. ربما كان القصد من وراء اعلان التلفزيون السوري فرض شكل مختلف على المذيعات، بحيث بات عليهن وفق فرمان جديد ان ينقصن اوزانهن الى 60 كيلو غراما مع 160 سنتمتر طولا، حتى يلقن بصورة التلفزيون الذي يسعى لتسبيل عيونه امام المشاهدين، علّه يحظى باعجاب مفقود ينتشله من الترهل المزمن.

التلفزيون السوري لا يحتاج ريجيما اضافيا فقد هزل من شدة الريجيم النوعي وليس الكمي، ورغم اعترافنا بأنه بدأ يتبع نهجا جديدا في تعاطيه، الا انه ما زال بحاجة لبهارات سورية تزوق وجباته، بحيث يقل دسم السياسة وتتعدد صنوف الخطابات، وتقلل ملوحة البرامج الرئيسية باغنائها بزيوت المنوعات، وتفكيه البرامج الفنية بوجوه جميلة طازجة وليست معلبة، وتنحيل اللهجة الاستبدادية في البرامج الحوارية، بحيث لا يضع المحاور الكلمات في فم الضيف ويتركه يسترخي قليلا بدل ان يمارس عليه ارهاب الاستوديو. وحبذا لو كان المذيع كذلك يؤمن بان طبيعة الاشياء، حتى لو كانت علمية بحتة، يمكن ان تحتمل الواحد بالمئة اختلافا على اقل تقدير!

وبدل ان نترهل بمشاهدة ثلاث محطات تلفزيونية سورية تمارس التعذيب باعادة نفس الوجوه المتسربلة ثلاث مرات في اليوم، يمكن ان تصبح اثنتين ناجحتين، بالاعتماد على اعلاميين سوريين مبدعين يطرزون قاسيون بافكارهم الولادة وخبراتهم وابداعاته.

نعم.. الشكل عنصر اساس ومهم في التلفزيون ببعض البرامج والمنوعات، لكنه ليس مهما جدا في الكثير من برامج التلفزيون، فنحن لسنا بحاجة لكايلي مينوغ كي تقدم نشرة اخبارية، ولا نحن في حلبة للمصارعة كي نعتمد على اوزان الريشة والوزن الثقيل. والخطأ في التعميم فقط، فما أحب البريطانيون المذيع الاسود ترفل ماكدونالد لغلظ شفتيه، ولا سُحر الامريكيون بحمالة بنطلون لاري كينغ العجوز، ولا تحلق المشاهدون حول قصعة «الجزيرة» هياما بضمور كرش فيصل القاسم، او اجتمع المشاهدون الغربيون حوالي مقدمات برامج الصباح والاسرة، اللاتي يزن ارطالا من اللحم، طالما تغنى بها شعراء العرب وفضلها آباؤنا، حينما دَموا النحيلات وتهامسوا جذلا بطراوة الناصحات.

وربما آثر التلفزيون السوري في الظروف الحرجة التي تمر بها المنطقة ملامسة الاسهل في التناول والتغيير، فصلح به القول: فليسعد المنظر اذا لم تسعد الحالُ.

نكاح عُرفي

■ أن تتشعب ظاهرة ما يسمى بالزواج العرفي بحيث تستحوذ على 17 بالمئة من عدد سكان مصر وتتمدد لباقي الدول العربية فانها تصبح اكبر من كونها قضية محلية وتغدو مادة دسمة للاعلام.

ولعل ذلك ما ارشد فضائية «المستقبل» اللبنانية مساء امس الاثنين، لسبر اغوار هذه الظاهرة المقلقة، حيث شغلت ساعتين هما وقت برنامج «سيرة وانفتحت».

ما يبعث على الدهشة تلك القصص الكثيرة التي تحدث ابطالها عبر البرنامج، في ظاهرة كانت غائبة او مغيبة عن وسائل الاعلام، بسبب طبيعتها الاجتماعية المرتبطة بالعادات والدين والاسرار المنزلية حبيسة غرف النوم.

وقد نتج عن هذه العلاقات الاجتماعية المشوهة 15 الف طفل يبحثون عن نسب واعالة وامهات هائمات على وجوهن في اروقة المحاكم، في مجتمعات لا تعرف من الضمان الاجتماعي الا اسمه.

كان ضيفا الحوار ـ الذي بدا الى حد كبير نسخة من برنامج «الاتجاه المعاكس» مما اضفى عليه نوعا من التشويق ـ عالم الاجتماع المصري الدكتور محمد البدوي الذي تمترس خلف نظرية «واذا بليتم فاستتروا»، فيما كانت الدكتورة منى ياسين الخبيرة بشؤون المرأة في جامعة الدول العربية على نقيضه على طول الخط، فاذا شرّق غرّبت واذا غرّب جنبت.

الدكتور بدوي الذي اجاد في وصف هذه الظاهرة وتسمياتها، التي تجاوزت في حمولاتها سبعا من الصفات ـ منها زواج الورق، وزواج الكاسيت، وزواج الدم، وزواج الطابع، وزواج الشاهد، والتزويج الذاتي، وزواج الشفاه ـ اجاد في تكفير كل من يمارس هذا الزواج، واعتبره ضربا من الزنا. وارجع سبب ذلك للتربية المنزلية والى الانحلال الخلقي وتفسخ القيم، فيما اصرت الدكتورة ياسين على الظروف الاجتماعية المتخلفة والاقتصادية المتردية والطلاق العاطفي في الاسرة، والى مجتمع ذكوري يحمّل المرأة كل تبعات ومثالب المجتمع.

ورغم استنجاد البرنامج بالمشاهدين والمشاهدات لتوصيف الحالة واسترشاد الحلول، غير ان المستطلعة اراؤهم ممن سبق وان خضعوا لهذه التجربة فتحوا الكثير من الاسئلة التي دأب المتحاورون على سدها، فاحدهم ويدعى احمد تزوج عرفيا سبع مرات من جنسيات مختلفة، الا ان الحظ لم يحالفه..! فيما اقترن طالب في الجامعة باربع زميلات له وفي وقت واحد اثباتا للفحولة!

واللافت في هذه الظاهرة القديمة المستجدة حديثا بشكل مرضي انها على عكس المعتقد السائد بانها تزدهر في المجتمعات الفقيرة، الا ان سبعين بالمئة من ممارسيها هم من الطبقات الميسورة والمتوسطة، لكن هذه الطبقات تداري على فضائحها، بينما تدفع الفقيرات الثمن قتلا ورميا في الترع غسلا للعار.

وبين حاجة بيولوجية ملحة للشباب وغياب البهجة في حياة نكدة، ستبقى هذه الظاهرة تزعق الى اشعار آخر.

نومينيه «ستار اكاديمي»

■ في الوقت الذي يلملم برنامج ستار اكاديمي ومقيموه احمالهم استعدادا للرحيل، يبدو ان هذه التجربة الفنية الاجتماعية لم توفق، بحيث يعاني البرنامج من تراجع نسبة المشاهدين والاقبال على التصويت.

ونظرة متأملة لنتائج ثلاث دورات، هي عمر «ستار اكاديمي»، الذي تحتضنه محطة «ال بي سي» اللبنانية، فان خريجي هذه المدرسة اذا اعتبرناها كذلك لم يضيفوا اي جديد لساحة الغناء العربي، كما هو مفترض، بل ربما استهلكوا ما هو موجود ومطروح، بل عملوا به تشويها من خلال اعادة توزيع وغناء الاغاني التراثية التقليدية، باسلوب راقص خال من الروح احيانا.

وعلى الرغم من نجاح البرنامج جماهيريا، حينما قدم لاول مرة الشباب الطامح للشهرة والتألق، وحصد مشاهدين بالملايين، الا انه عجز لاحقا عن تعويم اي موهبة، كما حصل مثلا في برنامج «سوبر ستار» المنافس على قناة «المستقبل»، رغم ان كليهما مستورد ويقوم على مبدأ اعلاني جماهيري واقعي متشابه، فخريجو «سوبر ستار» وجد بعضهم طريقه للشهرة، مثل رويدة عطية عمار حسن هادي اسود وعد البحري، عبير نعمه، فيما خلت الدورة الحالية لستار اكاديمي من أي صوت جميل او موهبة تستحق الذكر او حتى التوقف، وطغى عليه العرض والشكل على عكس الدورة الاولى، التي برز فيها احمد الشريف، والثانية التي صعدت فيها التونسية اماني السويسي.

وفي حين اعتمد «سوبر ستار» على بعض نجوم الطرب كايقونة له مثل وديع الصافي وطوني حنا وجوليا بطرس وعبد الله رويشد واصالة وغيرهم، فان مثل «ستار اكاديمي» الاعلى كان هيفاء وهبي، ولا اريد ان اذكر اسماء اخرى، غير ان طلاب الاكاديمية، وكي لا نغمطهم حقهم، خرجوا بقصص حب انسانية جميلة ربطت اكثر من ثنائي بالعقد الذهبي، كان ابرزهم بشار وسلمى، اللذان تزوجا، وجوزيف وريم، وربما ان البرنامجين حققا الغاية الاعلانية والمردود المالي من ورائهما، لكنهما عجزا عن تصعّيد المواهب الفنية او تحقيق اختراق في هذه الساحة المتلاطمة العابثة.

* كاتب من أسرة «القدس العربي»
anwar@alquds.co.uk

وارضيات